

أضواء البيان

@ 444 سُلْطَانُهُ عَلَيَّ الَّذِينَ يَتَتَوَلَّوْنَ نَهْهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ

مُشْرِكُونَ { . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الشيطان ليس له سلطان على المؤمنين المتوكلين على الله ، وأن سلطانه إنما هو على أتباعه الذين يتولَّونه ، والذين هم به مشركون . .

وبين هذا المعنى في غير هذا الموضع ، كقوله : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } ، وقوله : { لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } ، وقوله : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا } ، وقوله : { وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآيَاتِ خِرَّةً مِّمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ } ، وقوله : { وَمَا كَانَ لِي عَلَيْهِ كُفٌّ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْهُ تُكُفُّ فَاسْتَجِبْتُ لَهُ } . .
واختلف العلماء في معنى السلطان في هذه الآية . .

فقال أكثر أهل العلم : هو الحجة ، أي ليس للشيطان عليهم حجة فيما يدعوهم إليه من عبادة الأوثان . .

وقال بعضهم : ليس له سلطان عليهم . أي تسلط وقدرة على أن يوقعهم في ذنب لا توبة منه . وقد قدمنا هذا . والمراد : ب { الَّذِينَ يَتَتَوَلَّوْنَ نَهْهُ } الذين يطيعونه فيوالونه بالطاعة . .

وأظهر الأقوال في قوله : { هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } أن الضمير عائد إلى الشيطان لا إلى الله . ومعنى كونهم مشركين به هو طاعتهم له في الكفر والمعاصي . كما يدل عليه قوله تعالى : { أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَى كُفْرِكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ } : { إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } ، وقوله عن إبراهيم : { يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ فَهُوَ مَا جَعَلُوهُ لَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِتْبَاعِ وَالْمَوَالَةِ ، بغير موجب يستوجب ذلك . .

تنبيه .

فإنه قيل : أثبت الله للشيطان سلطاناً على أوليائه في آيات . كقوله هنا { إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } .

